الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
مديرية الآثار العامة
بغـــداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧٣ | المجلد التاسع والعشرون

General Organization Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان	سعدي الرويشدي
١٣	التنقيب في قاليج أغا (أربيل) الموسم الرابع (١٩٧٠)	اسماعيل حجارة
٣٥	عشتار وتموز جذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين	الدكتور فاضل عبدالواحد علي
٧١	حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري	الدكتور فوزي رشيد
٨٣	بحث في الامثال العراقية دراسة مقارنة لامثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
١٠٧	دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء	الدكتور صبحي انور رشيد
١٥١	هرقل ـ جندا (اله الحظ في الحضر)	الدكتور واثق الصالحي
١٥٧	معبودات الحضر	جورج حبيب
١٧١	تنقيبات البعثة الآثارية في منطقة مليحه ـ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة	الدكتور طارق مظلوم
١٨٣	فخـار حفريات منطقة مليحه ـ الشارقة ـ دولالة الامارات العربية المتحدة	منير يوسف طه
١٩٧	سقايا بغداد	عطا الحديثي
٢٠٧	مميزات الزجاج العراقي في العصور الاسلامية	هناء عبدالخالق
٢٢١	ملابس الندامى في العصر العباسي	الدكتور صلاح العبيدي
٢٢٩	نقود الدولة الجلائرية المحفوظة في المتحف العراقي	مهاب البكري
٢٤٥	جامع الحيدرخانة عمارته وموضعه	أسامة النقشبندي
٢٥٧	معالجة صدأ النحاس والبرنز	علي النقشبندي
	التقارير والانباء والمراسلات	
٢٦٧	اقتصاد دولة سومر	ترجمة ـ سليم طه التكريتي
٢٨٩	من تاريخ الفترة الآشورية في القسم الجنوبي من العراق	ماجد عبدالله الشمس
٢٩٩	منجزات ومشاريع مديرية الآثار العامة	صادق الحسني

بحثٌ في الأمثال العراقية

دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر

بقلم : الدكتور عبدالهادي الفؤادي
باحث علمي

من الثابت أن المجتمعات الانسانية تعمل على استخلاص التجارب والعبر من خلال المعاناة اليومية لمشاكل الحياة وآلامها في صراع دائم غير مستقر ، وعبر مسيرة طويلة من أجل التغلب على تلك المشاكل لبناء الكيان الحياتي المناسب لها . ومن خلال تلك العملية الاجتماعية تتولد قيمٌ ومُثلٌ توحي بها أو تنشأ من خلال المرحلة الاجتماعية التي يمر بها أي شعب من الشعوب . وهكذا يقوم ذلك الشعب بالعمل على صياغة تلك المثل والقيم والتجارب والافكار المستخلصة والتي حصل عليها عبر القرون بوضعها في جمل وعبارات قصيرة ذات أسلوب معبِّر لاذع تسمى « مَثَلٌ » أو « قول سائر » أو « كلام مأثور » . والسومريون ، وهم بناة أول مجتمع حضاري متكامل مزدهر شهدته البشرية ، خلفوا لنا تراثا حضاريا ترّاً ولا سيما في حقل الامثال. وهم كأي شعب من شعوب الدنيا يتحسس بما حوله من المجتمع ، فهو يحب ويكره ، يذم ويمدح ، يتباهى ويفخر ، وبذلك يمكننا القول بان الامثال السومرية هي الحقل الوحيد من حقول الآداب العراقية القديمة التي يمكن من خلالها تلمس أحاسيس وشخصية ونفسية الفرد السومري الاعتيادي . ذلك لان تلك المجموعات من الامثال تعكس فيما تعكس ارهاصات الفرد العاطفية وقلقه النفسي وبعضا من قيمه ومُثله التي تطبع شخصيته . وبذلك أصبح لهذا الجانب الادبي أهمية خاصة بالنسبة لنواحي الادب الاخرى يتوجب على كل من يتعرض الى دراسة

أحوال المجتمع العراقي القديم من ضـــرورة الرجوع اليه ودراسته بتمعن •

وفي هذه المقالة وما سيليها من مقالات سنحاول استعراض بعض هذه الامثال ، وسنعمل كذلك بقدر الامكان ، على تلمس ما يقابلها ـ سلباً أو ايجاباً ـ من أمثال أو أقوال سائرة مما يستعمله عراقيو اليوم •

وقبل البدء ، يجدر بنا اعطاء القارىء الكريم فكرة عامة عن أدب الامثال القديم : تأريخه ، طبيعته وخصائصه العامة •

لقد نشأ أدب الامثال السومري أول الامر ، شأنه في ذلك شأن مثيلـــه من آداب الشعوب الاخرى ، من أقوال وعبارات سائرة جرت على ألسن القوم خلال حياتهم اليومية وتناقلوها جيلا بعـــد آخر وذلك قبل وضعها كتابة في ألواح تتضمن مجاميع مدونة من الامثال • ويمكن تحديد ذلك على وجه التقريب في الفترة التي تلت ابتكـــار الكتابة في منتصف الالف الرابع ق•م وحتـــى العهد البابلي القديم في حدود القرن الثامن عشر ق•م وهي الفترة التي ازدهرت فيها تدوينـــات أدبية وفيرة متنوعة ذات مستوى رفيع[1] •

ولقد آلت الينا من الفترة الممتدة بين العهـــد البابلي القديم والعهد البابلي الحديث مجموعات الامثال ومعظمها باللغة السومرية وقسم آخر باللغة الاكدية ، وهناك قسم ثالث مدون باللغة السومرية مع ترجمة النص الى اللغة الاكدية • وقد حاول الكاتب السامي جهده أن يكون أمينا في عمليتي النقل والترجمة •

ومما تجدر ملاحظته هنا ، أن أقدم مجموعات الامثال التي وجدت والتي يتم التأكد من تميزها على انها أمثال لم تكن في الواقع مدونة باللغـــة الامثال ومعظمها باللغة السومرية وقسم آخر باللغة الاكـدية الساميّة ، أو أن النص كتب باللغتين السومرية والاكدية في ذات الوقت[2] • وهذه الالواح كان قد تم العثور عليها في مكتبة آشـور بانيبال في تل قوينجق ، وقـام بنشرها كل من

---

(١) ومما أيد الفكرة التي أشرنا اليهـا وهي أن تناقل المثل شفاها سبق فترة تدوينه هو ما تمّ الكشف عنه في بعض الكتابات الادبية التي عثر عليها في موقع « أبو الصلابيخ » لوح يتضمن نصائحـــا مـــن شـــخص يدعـــى « شروپّاك Shuruppak » الى ولده « زيوسودرا Ziusudra وقد ورد ضمن تلك النصائح مثلا من الامثـال التي جاءتنا مدونة في مجموعات الامثال السومرية التي تعود الى فترة متأخرة وهي فترة العهـــد البابلي القديم • وهكذا يدلل لوح أبو الصلابيخ الذي يعود تأريخه الى عصور فجر السلالات التي تسبق العهد البابلي القديم بعدة مئات من السنين بأن تدوين تراث الامثال سبق فترة العهد البابلي القديم بزمن طويل ومن المحتمل جدا أن يكون قد سبقت ذلك فترة النقل الشفهي للامثال : لمزيد من التفاصيل حول لوح أبو الصلابيخ انظـــر : M. Civil & R. D. Biggs, "Notes sur des textes sumeriens archaiques", *Revue d'archéologie orientale*, Vol. LX (1966) no. 1, p. 2ff.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع :
E. I. Gordon. *SP*, p. 2.
Idem., *BiOr*, Vol. XVII, p. 122ff.

هذا وقد أشار « لامبرت ـ W.G. Lambert الى أن بعض الامثال التي جاءتنا مدونة باللغـــة السومرية لوحدها من المحتمل أنها تعـــود الى أصول سامية • ذلك أن التأثير السامي في اللغة السومرية معروف منذ أقدم الازمان • لمزيد من المعالجة المفصلة للامثال الآشورية التي جاءتنـا مدونة بلغتين والتي عثر عليها في آشور انظر : W.G. Lambert. *BWL*, pp. 222 & 223.

« رولنصن ـ Rawlinson » و « لانگـدن ـ Langdon » ، « ميـك Meek » و « مايسنر ـ Meissner »[٣] .

وبين عامي ١٩٠٩ ـ ١٩٣٤ قام كـل من « راداو ـ Radau » ، « لانگدن Langdon » ، « لوتس ـ Lutz » ، « لگرين ـ Legrain » و « كيـيرا ـ Chiera » باستنساخ ونشر اثنين وعشرين لوحا مدونا باللغة السومرية لوحدها . ورغم أن اولئك البـاحثين لم يستطيعوا تمييز محتوى تلك الالواح الا انها مُيِّزت فيما بعد باعتبارها تحتوي على أمثال[٤] .

وفي السنوات التالية بذل عدد من الباحثين جهودا بارزة خصصت لهذا اللون من الادب . ففي عام ١٩٣٧ قام « صاموئيل نوح كـريمر ـ S.N. Kramer » بتمييز عدد من الالواح والكسر الموجودة في متحف جامعـة پنسلڤانيا ، وكذلك في متحف الشرق القديم في اسطنبول ونشر فيما بعد دراسته التي شملت ثمان واربعين مثـلا سومريا[٥] .

أمـا « ڤـان دايـك ـ J.J. Van Dijk » فقد قام بدراسة عدد من الامثال أوردها ضمن مؤلفه المهم :

La Sagesse Sumero-Accadienne (٦)

هذا وقد تُوِّج حقل الامثال السومرية بأول دراسة مهمة موسعة على هذا اللـون من الادب السومري وضعها « گوردن ـ E.I. Gordon » بعنـوان

Sumerian Proverbs: Glimpses of Eevery-day Life in Ancient Mesopotamia. (٧)

وفي هذه الدراسة قام « گوردن » بتقـديم بحث شـامل مستفيض من النواحي القواعـدية واللغوية والحضارية على هذا الجانب المهـم من الآداب السومرية . وقد عزَّز هذه الدراسـة الاستاذ « ثوركيلد ياكوبسن ـ Th. Jacobsen » بنشره فصلا ملحقا بهـا راجع فيه أمثالا عديدة واردة وناقش كثـيرا من المشاكل التي تضمنتها مفردات تلك الامثال قد قدَّم خدمة جليلة لا تنكر لدراسة الامثال السومرية .

هذا وقد نشر « گوردن » ايضا فيما بعـد دراستين على الامثال السومرية : الاولى وتشتمل

---

(٣) انظر :
E.I. Gordon, *SP*, p. 2 & note 4 there.

(٤) راجع : E. I. Gordon, *SP*, pp. 3-5.

(٥) انظر :
Compte-rendu de la Troisième rencontre assyriologique internationale organisée à Leiden du 28 *juin au* 4 *juillet* 1952 *par le* Nederlandsch Instituut voor het Nabije *Oosten*. Leiden, 1954, pp. 75-84.

هذا مع العلم أن « أدموند گوردن » قـام باعادة دراسة هذه الامثال ضمن دراسته الموسـعة للامثال السومرية . راجع ذلك في :
SP, p. vi & p. 5.

(٦) انظر :
J.J. Van Dijk, *La sagesse sumério-accadienne: Recherches sur les genres littéraires des textes sapientiaux avec choix de textes.* (Henceforth cited as *SSA*), p. 4-11.

(٧) تضم هذه الدراسة مئات من الامثـال السومرية وهي تشتمل على المجموعتين الاوليـين من الامثال السومرية . « المجمـوعة الاولى » : وتضم ما يقرب من (٢٠٢ مثلا) ، و « المجموعة الثانية » : وتضم حوالي (١٦٦ مثلا) . وقـد اعتمدت مادتها على ما يقرب من (١٧٠ لوحـا وكسرة) استخدمت في دراستها . انظر :
SP, p. 25 & p. 154 respectively.

على أمثال وقصص الحيوان السومرية وقد ١٩٦٠[١٠] .
أسماها :[٨]

"Sumerian Proverbs: 'Collection Four"

والثانية وهي « المجموعة الخامسة » وتحتوي على امثال وقصص الحيوان السومرية وهي بعنوان :

"Collection Five: Sumerian Animal Proverbs and Fables" [٩]

ان ما أسلفناه اعلاه يشير في الحقيقة الى اهتمام هذا الباحث الشديد بأدب الامثال السومرية ، وهذا على ما يبدو دفعه بالفعل الى القيام باجراء مسح عام شامل لكافة الالواح والكسر التي تحتوي على الامثال والمحفوظة في المتاحف العالمية ، وقد توصل بنتيجة دراسته الى تمييز وتقسيم مجاميع الامثال تلك الى اربع وعشرين مجموعة . وقد استعرض ذلك بشكل عام في مراجعته المفصلة لكتاب « فان دايك J.J. Van Dijk's *SSA* » والتي نشرها في سنة

وفي نفس السنة قام الباحث المعروف « لامبرت W.G. Lambert » بأعادة دراسة جميع مادة الامثال التي سبق أن نشرت من قبل وأعني منها تلك التي كتبت بلغتين : السومرية مع ترجمتها الى الاكدية وضمنها في كتابه الذي يبحث في « أدب الحكمة البابلي »[١١] . والدراسة هذه ـ التي هي في غاية الاعتناء والدقة ـ تعتبر في الواقع مصدرا لا يستغنى عنه ، ومشاركة علمية لا تثمن لدراسة هذا اللون من الآداب العراقية القديمة .

هذا وفي عام ١٩٦٦ قام الاكاديمي السوفيتي « دياكونوف I.M. Diakonoff » بنشر مقال له باللغة الروسية حول الاهمية الاجتماعية والحضارية لامثال بلاد ما بين النهرين مستخدما في ذلك ما نشره كل من « گوردن » في كتابه *SP* ، و « لامبرت » في كتابه *BWL* كمادة أولية، ومضيفا اليها اثناء تعليقاته بعض الاقتراحات

---

(٨) انظر :
E.I. Gordon, *JAOS* 77, no. 2, April-June (1957), pp. 67-79.

وتضم هذه المجموعة ما مجموعه (٦٢ مثلا) . وقد استخدم الكاتب في جمع مادتها لوحا كبيرا (CBS-14079) وهو من الواح نفر ومحفوظ الآن في متحف الجامعة التابع لجامعة پنسلفانيا .

(٩) انظر :
E.I. Gordon, *JCS* XII, no. 1, April (1958) pp. 1-21 & no. 2, June (1958) pp. 43-75.

وتحتوي هذه المجموعة على ما مجموعه (١٢٥ مثلا) وحكايات تدور على ألسنة الحيوانات . ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن معظم هذه الامثال استخدمها نفس المؤلف كما أضاف اليها مادة جديدة أخرى في مقالته التي ظهرت في الكتاب الذي نشر في موسكو سنة ١٩٦٢ تكريما للباحث السوفيتي المشهور الاكاديمي "V.V. Struve" وهي بعنوان :

"Animals as Represented in the Sumerian Proverbs and Fables: A Preliminary Study". in the V.V. Struve *Festschrift* volume (*Drevnii Mir*, Moscow. 1962, pp. 226-249).

(١٠) راجع :
E.I. Gordon, "A New Look at the Wisdom of Sumer and Akkad". *BiOr*, no. 3/4 May-July (1960) pp. 122-152.

(١١)
W.G. Lambert, *Babylonian Wisdom Literature*, The Clarendon Press, Oxford, 1960. pp. 213 282. (Henceforth cited throughout this study as *BWL*).

والتفسيرات[١٢] .

وفي نفس العام ، قام كل من « گـاد ـ C. J. Gadd » و « كريمر ـ S.N. Kramer » بنشـر مجلد يضم نصوصا أدبيـة سومرية كان قد عثر عليها في حفريات أور . ومن ضمن تلك النصـوص مجموعـة من الامثـال وقصص الحيوان[١٣] . ولقد اسـتفاد « گـوردن ـ E.I. Gordon » من بعض هذه النصـوص في نشرياته السابقة وكذلك كاتب هذا المقـال في بحثه للماجستير[١٤] .

هذا وآمل أن أوفق في نشر مجموعات الامثال السومرية الاخرى وبصورة خاصة « المجموعـة الثالثة » وهي أهم المجموعات المتبقية واضخمها ، و « المجموعة الحادية عشرة » ، و « المجموعـة الثالثة عشرة » (وذلك بحسب تصنيف گوردن كما مرَّ معنا) .

أما الخصائص والمميزات العامة التي يمتـاز بها أدب الامثال في العراق القديم فيمكن اجمالها بالنقاط التالية :ـ

١ ـ قلنا ان الباحثين السومريين وكـذلك الساميون الذين جاؤا من بعدهم خلفوا لنا تراثا مدوَّنا في أدب الامثال استطاع الباحث المعاصـر من تصنيفه ودراسته . وكنتيجة لذلك أمكـن التوصل الى أن هناك مجموعات أُلِّفت في الامثال يتراوح عددها بين (عشرين الى اربع وعشرين مجموعة) . وقد لوحظ أن من بين هذا العدد حوالي اثنتا عشرة مجموعة وردت أمثالها مدونة بترتيب خاص يقوم على أساس « مفتاح المثل ـ key-word » ، أو « الكلمة التي يستند اليها المثل ـ community of subject » ، أو بالاحرى الكلمة التي تمثـل « موضـوع البحـث ـ subject-matter » .

وهذه الكلمات التي تعتبر مفاتيح الامثال تأتي عادة في بداية المثل ، أي كأول كلمة فيه . وهي تمثل اما أسماء حيوانات مختلفة كما هو الحال في امثال الحيوان وقصصه ، ومن هذه مثـلا : « الاسـد ـ ur-mah » ، « الكلـب ـ ur-ger$_x$-re » ، « الثعلب ـ ka$_s$-a » ، الحمار ـ anshe » ، ... الخ . أو ما عدا ذلك مثلا : « البيـت ـ e$_2$ » ، « الرجـل ـ lu$_2$ » ، « الشخص الكاذب ـ lu$_2$-lul- » ، « الشيء ـ nig$_2$ » ، « المدينـة ـ uru » ، « القلب ـ sha$_3$ » ، ... الخ .

٢ ـ العادة المتبعة لدى الكتبة الاقـدمين هو الفصل بين كل مثل أو قصة صغيرة وما يليها من

---

(١٢) انظر :

I.M. Diakonoff, "Social Relationships in Sumerian and Babylonian Folklore (120 Proverbs and Sayings)", *Vestnik Drevnii Istorii* "Journal of Ancient History", Academy of Sciences of the USSR, Moscow (1966), (Separate Reprint, No. 1), pp. 9-21. (Henceforth cited as *VDI*).

(١٣) انظر :

UET. VI/2, (1966), nos. 208-387. (Plates CCXLVII-CCLXX).

(١٤)

A.H. Al-Fouadi, *Seventy-Five Sumerian Proverbs and their Modern Iraqi Counterparts: A Comparative Study*. (An unpublished M.A. Thesis), Dept. of Oriental Studies, The University of Pennsylvania, 1967, no. 44.

مثل آخر بخط فاصل متميز وذلك ليشعر القارىء بانتهاء المثل • على أن ذلك لا يعني عدم وجود شواذ ، وكثيرا ما يحصل هذا لدى الكتبة غير المتمرسين في الكتابة وخصوصا الطلبة الذين هم لا زالوا في دور التمرين •

٣ ـ من المميزات البارزة في الامثال السومرية هو انتهاء المثل في كثير من الاحيان « بالاداة : ـ e-she- » ، وهي تقابل في الاكدية الاداة الملصقة « -mi » • وتأتي هذه الادوات عادة في أثناء الكلام المباشر وهي ترد في نهاية جملة الفعل مباشرة • ويترجمها بعض الباحثين بالفعل « قال » وتصريفاته • الا انه يفضل في غالب الاحيان أن تترك بدون ترجمة طالما تشير ببساطة الى أن المادة التي استعملت فيها هي مَثَلٌ • أو بعبارة أخرى ، فان مجرد وجود e-she- في نهاية مقتبسات كلامية قصيرة تشير بسهولة الى كونها امثالا •

٤ ـ ومن الخصائص المهمة جدا في الامثال موضوعة البحث ، هو « لغتها المركزة » و «اسلوبها المقتضب» • وهنا تكمن العلة في أن ذلك كثيرا ما يخلق للباحث المعاصر مشاكل عديدة وصعوبات جمة اثناء عملية الترجمة والفهم •

يضاف الى ذلك ، أن في كثير من الاحيان يأتي الينا المثل كاملا ، ومقروءاً قراءة مضبوطة وصحيحة ، وكذلك علاماته واضحة لا لبس فيها ولا ابهام ، الا انه مع شديد الاسف غير مفهوم بالشكل الذي تتم معه القناعة اذا ما ترجم استنادا الى ما هو معروف من قواعد اللغة ـ التي دون فيها المثل ـ ومعانيها • وهذا بالتأكيد يعود الى أمرين : بما ان المثل هو تعبير عن قيم واحاسيس ومفاهيم حضارية تمثل شعبا تفصله عنا آلاف السنين مما يجعل عملية الاستيعاب الحضاري بالنسبة للباحث المعاصر غير متيسرة بسهولة • أو أن ما هو معروف من معان ومرادفات لمفردات المثل لا توفي بالغرض وان هناك معاني أخرى لا زالت مطمورة تحت الارض ، وهذا جائز جدا • وعلى أية حال ، فان عامل الزمن كفيل بتذليل الصعوبات طالما أن البحث مستمر ودائب • ومن ذلك يتضح لنا كيف ان حقل الامثال يعتبر في الحقيقة من أصعب حقول الادب السومري •

وقبل البدء باستعراض الامثال فلابد من التأكيد على حقيقة جوهرية وهي أنه لا يقصد من هذه المقالة بأية حال من الاحوال اثبات كون حصول التشابه في بعض الاحيان بين امثال الامس واليوم هو استمرارية محققة لها ، اذ قد يكون ذلك متأت مما يعرف بـ « الاحساس العام ـ Common Sense" أو قد يكون كذلك، شريطة أن تكون الناحية الحضارية التي يمثلها المثل لا زالت انعكاساتها واردة •

وعلى أية حال ، فعملية المقارنة لا تعني بالضرورة ايجاد أوجه الشبه بين أمثال الامس واليوم فقط بل أوجه الاختلاف أيضا • وأحيانا نجد أن موضوعا معينا نظر اليه عراقيو الامس في أمثالهم نظرة تختلف تماما عما ينظر اليه عراقيو اليوم • فالمهم اذاً ، بعد أن يطلع القارىء الكريم على ما سيرد في هذه المقالة ، انه سيكون قادرا على تكوين الصورة التي يرتأيها فيما يتعلق بالامور المطروحة اعلاه •

ان الامثال التي اخترناها لهذه المقالة تدخل ضمن موضوع الحالة والمؤسسات الاجتماعيـة ، وتتحدث بصورة خاصة عن الاســـرة ، ذوي القربى ، الاصدقاء ، بعض الظواهر الاقتصاديـة والاجتماعية وكذلك المؤسسات السياسية •

ففي موضوع الحب والزواج يقول عراقيو الأمس :

«مَن تُحِبُّ ، فأنت تَتحمّلُ عُبوديتَه(ا)!»(١٥)

أما عراقيو اليوم فيقولون :

« ضَربُ الحَبيب زِبيب ! »(١٦)

ويقولون كذلك :

« وَكلُّ ما يَفعلُ المَحبوب محبوبُ ! »(١٧)

وقد جاء هذا بصيغة العربية الفصحى •

والمعنى في جميع هذه الامثال قديمها وحديثها واضح • اذ هي تشير الى أن كل شيء يتأتى من جانب المحبوب فهو مقبول حتى ولو كان فيه أذى للصب المحب • فالمثل القديم وكذلك المثل الحديث الاول يعبران بصراحة ووضوح عن هذا المعنى • أما في المثل الحديث الثاني فهو واضح فيه بشكل غير مباشر • يقول في هذا الصدد الكاتب الروماني الساخر « جوڤَنِل ـ Juvenal » (حـــوالى ٦٠ـ١٤٠م) : « اذا نذرت نفسك بشرف الى امرأة ما ، فاحـن عندئذ رأسك ، وأخضِع رقبتـك للعبودية »(١٨) •

ورغم قلة امثال السومريين في الزواج فهي تعكس لنا صورة قوية لمجتمع حضاري ناضـــج يخيل اليك وانت تقرأ المثل التالي وكأن قائلـــه يعيش مفاهيم عصرنا هذا •

يقول المثل :

« تَزوَّجْ حسبَ اختيـــارك ، واجتنِب أطفالاً كما يَرغبُ به قلبُكَ ! »(١٩) •

ولو استعرضنا أمثال مجتمعنا المعاصر لوجدنا هناك ثلاثة أمثال حديثة يمكن الاستفادة منها في معرض المقارنة ومع القسم الاول فقط من المثل السومري • أي أننا لم نعثر في أمثالنا المعاصرة ما يمكن مقارنته مع القســـم الثاني من المثـــل السومري المذكور • أما الامثال الحديثة الثـلاث فالاول منها يقول :

« أخُذْ الأصيلَه ، ونام عَلحَصيره ! »(٢٠) •

---

(١٥) لقد ورد هذا المثل باللغة السومريـة مع ترجمته الى اللغة الاكدية في نفس اللوح • انظر نص ذلك في :
BWL, 227, ii, 21-22 and p. 230.

(١٦) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١١١٧ •

وقد ورد هذا المثل في الامثال الموصليـــة بصيغة :

« قتل الحبيب أزبيب » انظر ذلك فـي : الغلامي : المردد : ص ١٠٨ •

(١٧) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ٢٤٤٥ •

(١٨) انظر :
B. Stevenson, (ed.), *The Home Book of Proverbs, Maxims and Familiar Phrases.* (The citation to it throughout this article will be as *HBPM*), 1539 :5.

(١٩) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 1.146.

(٢٠) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٣٧ • انظر كذلك :
B. Meissner, "Neuarabische Sprichtwörter und Räthsal aus dem Iraq," *Mittheilungen des Seminars für Orientalische Sprachen* (This article will be referred to in this study as *MSOS* 4:2), no. 8.

مما تنبغي ملاحظته هنا أن هذا المثل يؤكد في الواقـــع على نوعيـــة الزوجـــة وهو بذلك يقترح بان الزوجة اذا كانت من أصل عائلـــي جيد فانها تعين زوجها في حياته الزوجية وبذلك فهي لا ترهقه بمطاليبها الغالية • بل انها سوف

أما المثل الثاني فهو من الامثال السورية الحديثة وهو وأن كان مشابها للمثل العراقي السالف الا أنه يختلف عنه بعض الشيء يقول هذا المثل :

« خُدْ الأصيلَه ولَو كانت عالحَصيرَه ! »(٢١)

أما المثل الحديث الثالث (وهو ايضا من الامثال السورية الحديثة) فيقول :

« الأَصلْ ، الأَصلْ ! »(٢٢)

يتضح من ذلك ان الامثلة الحديثة تقدم لنا وجهة نظر تختلف تماما عما يقدمه لنا المثل السومري • وهذا يعني أن المثل السومري يشير على ما يبدو الى ان الزواج لدى السومريين لم يكن دائما من أجل المنافع المادية بل بدافع الحب والرغبة الانسانية • وعلى النقيض من ذلك تؤكد الامثلة الحديثة على النسب والاصل وهي بالطبع مفاهيم وقيم بدوية •

أما الابوة وحنانها اللذان يؤلفان جزءا بارزا لا يستغنى عنه بالنسبة للاسرة • فكلا المجتمعين العراقين القديم والحديث يؤمنان بقيم الابوة الا انهما يعبران عن ذلك كل حسب مفاهيمه بأمثال تعكس لنا حنان الابوين وتضحياتهما من أجل ابنائهما وهكذا يعبر السومري عن ذلك بقوله :

« البقرة (تسير) في المستنقع (الا) انها تترك العجل يسير فوق الارض اليابسة ! »(٢٣).

أما المثل الحديث فيقول :

« مِن يَوم العِشتَم ياولادي ما شِبَع مِنقاغي لَقطْ ! »(٢٤) .

ومن الطريف هنا أن نجد أن كلا المثلين يتخذان شخصية لمثلهما من غير الانسان • ففي الوقت الذي نجد البقرة هي شخصية المثل السومري نلاحظ أن المثل الموصلي الحديث يتخذ من الطائر شخصية له • والتضحية واضحة في كلا المثلين ، ففي السومري تُظْهِرُ البقرة حنانها وشدة حفاظها على وليدها من أن يصيبه أذى أو تهلكة في اختيارها أرض المستنقع لتسير عليها ، تاركة الارض اليابسة الصلبة لكي يسير عليها الوليد الغض ذي القوائم الطرية الشابة •

وفي المثل الحديث نجد أن التعبير عن حنان الأبوّة جيد هو الآخر • ففراخ الطائر تعتمد في غذائها وتربيتها بعد أن ترى النور على أبويها حيث يقومان بجمع الطعام من هنا وهناك ويبدآن بزقّه في مناقير الفراخ حتى تكبر وتشتد وتقوى أجنحتها على الطيران لكي تحصل على رزقها بنفسها •

وليست التضحيات الجسيمة ونكران الذات

تقبل اسلوبه البسيط في العيش • وبذلك فعبارة « ونام علحصيره » خير دليل معبر عن الحياة البسيطة •

انظر كذلك : التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ٨٧ •

(٢١) انظر :

J.R. Jewett, "Arabic Proverbial Phrases," *Journal of the American Oriental Society*, (reference will be made to it as *JAOS* 15), no. 168.

ويعني هذا المثل ـ كما يرى Jewett بأن على الرجل أن يختار له زوجة تنحدر من عائلة طيبة حتى ولو كانت عائلتها فقيرة جدا وان بيت أبيها مفروش فقط بالحصران •

(٢٢) انظر : Jewett, *ibid.*, no. 154.

(٢٣) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 5.35.

(٢٤) انظر : الغلامي : المردد : ص ١٣٥ • هذا وقد أورد الدباغ (معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الثاني ، صفحة ٤٣٧) هذا المثل بصيغة : « من يومكم ياولادي ما شبع منقاغي لقط » •

هي السمة الوحيدة التي تتصف بها ظاهرة الابوة، بل هناك الحنان والتعليق والحب الذي ينشأ بين الابوين وابنائهما • ففي أحد الامثال السومرية :

« **تتحدث الكلبة قائلة بفخر : اذا كان لأطفالي لون ضارب الى الصفرة أو لون داكن (فمهما يكن من شيء) انني أحب صغاري ! »**(٢٥) •

أما المثل الحديث فيقول في هذا الصدد :

« **الشّادي بْعَيْنْ امّهْ غَزال ! »**(٢٦) •

تُرى كم هي جميلة الطبيعة الانسانية عندما تُعبر عن نفسها ولكن بصيغ وأساليب وأن باتت مختلفة الا أنها واحدة في جوهرها • فالحب الانساني الخالد الذي يربط الآباء بأبنائهم تراه كيف يعمي عيون الآباء ويحجب عنها رؤية النواقص الفيزيولوجية التي تظهر في ابنائهم • ففي المثل السومري نجد أن الكلبة تتباهى وتفخر بانها تحب صغارها مهما كان لونهم • أما في المثل العراقي الحديث فأننا نلتقي بقوة التعبير ووضوحه • وفيه نجد كيف أن القرد الذي هو قبيح الوجه دميم الخِلقة ـ الا انه رغم ذلك ـ يعتبر بعين أمه جميلاً كجمال الغزال • يقول « توماس فولّر ـ Thomas Fuller » في هذا الصدد : « الحب لا يرى عيوب »(٢٧) • أما الشاعر الامريكي المعاصر فيقول في ذلك : « نحن نحب الاشياء التي نريد أن نحب بالرغم مما هي عليه »(٢٨) •

وليس التباهي والحب والحنان هي فقط العواطف التي يجيش بها أحيانا صدر الانسان فينعكس ظلها تبعا لذلك في أمثاله وأقواله السائرة كمردودات متوقعة لمثله وقيمه بل نجد بالاضافة الى ذلك وفي عبارات واقوال سائرة تنطلق من المرء عند لحظات الغضب والمرارة ، وكثيرا ما تأتي بشكل دعاء بالشر أو ما اشبه • ففي المثل السومري :

« **الطفل العاق ، ليت أمه لم تلده ، وليت ربه لم يخلقه ! »**(٢٨) •

نجد فيه المرارة مُنصبَّة على عقوق الطفل وهو على ما يبدو كلام عام يجري على ألسنة الناس كافة • وفي ذلك يقابله المثل العراقي الحديث :

« **إبنِ التّلاش لا عاش ! »**(٣٠) •

كذلك نجد اليوم في الاقوال التي تتردد على ألسنة نساء الطرف في الاحياء والبيوت الشعبية دعاء مليئا بالمرارة والالم يرد على لسان أم موجها الى ابنها العاق وفيه تقول :

---

(٢٥) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 5.123.

(٢٦) راجع : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٩٦٥ •

وفي الأمثال السورية ورد المثل بصيغة : « الأرد (أي القرد) بعين أمّو غزال » • انظر : Dayton S. Mak, "Some Syrian Arabic Proverbs", *JAOS* 69/4, October-December (1949), no. 40.

هذا وقد أورد « چامپيون ـ Champion" مثلا مشابها رغم انه غير عراقي الا أنه جدير بالملاحظة نظرا لطرافته وغرابة محتواه • يقول هذه المثل : « كل شخص يظن أن براغيثه هي غزلان » ، أنظر :

S.G. Champion, *Racial Proverbs*. Barnes & Noble Inc., New York, Reprinted 1966. 333 : 187. (Henceforth cited as *RP*).

(٢٧) انظر :

B. Stevenson, *The Home Book of Quotations*. (Reference will be made to it as *HBQ*), 1182 : 8.

(٢٨) أنظر : Stevenson, *ibid*., 1182 : 14

(٢٩) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 1.157.

(٣٠) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ٢٤٥٧ •

« رَيْت الله ما خِلَقــكْ ، ورَيْت بَطْني ما جابِتَكْ ! »(٣١) .

واعتقد أن التشابه الواضح شكلا ومحتــوى بين هــذا القول الحديث وقرينه السومري يغني عن التعليق .

أما الآن فلنبتعد قليلا عن جو العــــواطف والاحاسيس التي لمسناها في أمثال القوم قديمــا وحديثا ، ولنتجه صوب جانب آخر من جوانب الاسرة لنتلمس شيئا هــاما بارزا كان ولا يزال يشغل قدرا معينا من تفكيرها . ذلك هو كِبَرُ العائلةوَصِغَرُهاوعلاقة ذلك باقتصاديات الاسرة. ثم أهمية التعاون والتآزر بالنسبة لخلق علاقــات وطيدة بنّاءة بين أفراد الاسرة الواحدة لبنــــاء كيانها . ففي هذا الصدد يقول المثل السومري :

« عندما تضــاف يد الى يــد ، فان بيت الانسان يبنى ، واذا أضيف فم الى فم(٣٢) ، فان بيت الانسان يحطم ! »(٣٣) .

والمعنى الذي يشير اليه المثل هو أن تزايد عدد افراد الاسرة مفيد من حيث التعاون من أجل الحصول على الرزق ، الا أنه مُضِرٌّ ومؤذٍ من حيث الأستهلاك وانهاك مصادر معيشة الاسرة .

أما امثالنا الحديثــة ، فلــم أوفق مع الأسف في الحصول على ما يقابل هذا المثل حيث المصادر المطبوعة في الامثال العراقية لا تسعف لانها خلو من هذا المضمون . الا أنني عثرت على مثــــل سوري يعتبر بحق صدى قويا للمثل السومري . والمثل هذا يقول :

« كِتْر الأيــــادي في الحَصيدَه غَنّيمَهْ وعَالأكِل ظَليمَهْ ! »(٣٤) .

هذا ويبدو ــ بالاضافة الى ذلك ــ أن المجتمع العراقي القديم كان مرهف الحس شديد الاهتمام بأمور اقتصاده اليومي وحياته المعيشية . فالزوجة ــ وهي عماد البيت والاسرة ــ كان عليها أن تكون مثلا في نظر السومريين مقتصدة ومدبرة وذلك فيما يتعلق بأمور بيتها المعيشية والا فهي وبال يحل في البيت ويحيله الى دمار تهون عنده جميع قوى الشر . وفي هذا المعنى يقول المثل السومري :

« الزوجة المبذرة التي تعيش في بيت هــي اسوأ من جميع الاشرار ! » (٣٥) .

اما في امثال اليوم ، فهناك مثل موصلي يقول :

« غَشّيمي كَــدّادي أَحسَن مِن مَغــا بَدّادي ! »(٣٦) .

---

(٣١) وهو من الاقوال السائرة غير المنشورة.

(٣٢) ان العبارة الواردة في المثل السومري في هذا الخصوص هي : sha_3-gal وتقابلها في الاكدية كلمة *ukullûm* التي تعني « مادة غذائية food-supply, nourishment » . وقد فسرها «كوردن » تخمينا ب « بطن ، معدة » (أنظر : *SP*, 2:53, note 7) أما « دياكونوف » (*VDI*, no. 30, note 38) فانه يرى أن عبارة $sha(g)_4$-gal السومرية والتي معناها الحرفي « جزء ، حصــة ــ Portion انما تعني في هذا المثل أي ضمن عبارتها السومرية $sha(g)_4$-gal $sha(g)_4$-gal-e ba-ab-dah « فم أضيف الى فم » ، وهو يعتقــد بأن المثل يريد بذلك أن عدد الافواه (أي الــذين يأكلون) ضمن العائلة آخذ بالازدياد .

(٣٣) انظر :
I.M. Diakonoff, *ibid*., no. 30.
and E.I. Gordon, *SP*, 2:138.

(٣٤) انظر : Jewett, *loc. cit*., no. 46.

(٣٥) انظــر : E.I. Gordon, *SP*, 1.154.
وكذلك تعليق « ياكوبسن » على المثل نفسه في ص ٤٦٨ من ذات المصدر .

(٣٦) انظر : الغلامي : المردد : ص ٩٨ .
صحيح أن مقالتنا هذه غير مخصصة لنقــد الامثال العراقية الحديثة وتحليلها بالتفصيــل شكلا ومحتوى ــ الا بالقدر الذي يتطلبه المقام ــ ولكن لابد من الاشارة هنا الى التناقض الواضح في مفردات الشق الاول من المثل الموصلــي .

وهنا نلاحظ أن المثل السومري اذ يقيّم الزوجة من حيث اسلوبها في التدبير المنزلي وتسيير حياة البيت الاقتصادية تجد ان المثل الحديث يذهب خطوة الى امام وذلك بتقديمه ميزة جديدة عند تقييم الزوجة تلك هي التعليم من عدمه • فالزوجة الشغولة المجدّة حتى ولو كانت جاهلة لا تحسن التصرف هي أفضل في نظر المثل الموصلي من تلك الزوجة المبذرة التي تبدد دخل الاسرة حتى ولو كانت متعلمة •

ولم يكن ما أسلفناه هي الامور الوحيدة التي أشغلت بال انسان مجتمعنا القديم • فالمرأة والموقف منها وتقييمها أمور هي الاخرى أخذت قسطا معينا من تفكيرهم وبالتالي وجدت طريقها الى امثالهم • ففي أحد الاقوال السومرية السائرة تلمس المرارة التي يحس بها الشخص المتحدث فهو يقول :

« عندما اناقش (الامور التي تتعلق ب) مصيري مع صديقتي فان عبارات السخرية تنهال عليّ ! »(٣٧) •

ويبدو أن انساننا السومري لم يكن هو الوحيد في حيرته أزاء الثقة بالمرأة من عدمها ، بل يشاركه في ذلك انسان اليوم وفي مجتمعات مختلفة من العالم كانت قد مرت بنفس التجربة الحياتية مع المرأة ووضعت لها تقييما معينا في هذا الصدد انعكس في أمثالها وأقوالها السائرة • وهنا نورد ثلاثة امثال تستعملها اليوم اثنان منها باللهجة العامية أما الثالث فهو بالفصحى • يقول المثل الاول :

« لِيْبِيْعْ سِرَّه لْمَرتَه نَدمان ! »(٣٨) •

أما الثاني فيقول :

« لا تبِيْعْ سِرَّك لْمَرتَك ! »(٣٩)

اما الثالث فهو قول للامام علي بن أبي طالب والذي جرى مجرى الامثال وفيه يقول :

« ثَلاثَةٌ لا يَسْتَودَعْنَ سِرّاً : اَلمرأة وَالنَّمّام وَالأحْمَق ! »(٤٠) •

فالغرض الذي ترمي اليه جميع هذه الامثال هو التحذير الشديد للرجل من ضرورة تجنب مناقشة القضايا التي فيها خطورة معينة مع النساء وذلك لئلا يقمن بافشائها الى الآخرين ولو بشكل عفوي غير متعمد • أي بعبارة أخرى ، أن هذه الامثال تشير بوضوح الى ظاهرة النرثرة وعدم ضبط النفس أو كتم الاسرار التي جُبلت عليها المرأة • وهنا تحضرني حزَورة أمريكية طريفة تقول : « ما هي اسرع الوسائل الثلاث التالية

ف « الغشيم » في اللهجة العراقية معناه بالدرجة الاولى « الشخص الذي لا يحسن التصرف » ، وهذا ناجم بالطبع عن انعدام التعليم أو عن قلة الثقافة • أما « الكَدّاد » — وهو في صيغة المبالغة — فهو يعني بالدرجة الاولى « الشخص المجّد الشغول المثابر » ، رغم تحميله معنى آخر ليس فيه وهو « الشخص المدبّر ، المقتصد » وذلك بدليل الشق الثاني من المثل حيث يقابله نقيضه (مغا بدّادي) • فالتناقض اذاً واضح بما فيه الكفاية ، اذ كيف يتسنى للغشيم الذي لا يحسن التصرف أن يكون مدبراً ومقتصداً في ذات الوقت ! •

(٣٧) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 2:3.

(٣٨) أنظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ١٧٤٥ •

(٣٩) انظر : الحنفي : المصدر السابق : ٢ : ٢٥٧٧ •

(٤٠) انظر :

C. Van Waenen, ed. tr., *Sententiæ Ali ibn Abi Talib* Arabice et Latine, (1806), p. 62 line 83.

للاتصال : البرق ، التلفون أو اِخْبارُ المرأة ؟ » . يقول في هذا الصدد « درايدن John Dryden" وهو شاعر ، ناقد وكاتب درامي انكليـــزي (١٦٣١–١٧٠٠م) : « وهكذا عُرف السر من خلال امرأة ، أخبـرنا ومن خلالنا أنت تخبـر المدينة »[٤١] .

لقد كان العراق ولا يزال – بالدرجة الاولى – بلدا زراعيا وتقوم علاقاته الاجتماعية على أساس الاسرة والقبيلة . ومن هذا الاســاس المادى الاجتماعي تنبثق الصلات والتقاليد والاعــراف والقيم التي تؤلف بمجموعها حياة المجتمع أو طابعه وخصائصه . فصلة القربى والتلاحم بين أفـراد الاسرة الواحدة أو القبيلة الواحدة ورابطة الدم بين هؤلاء الافراد – بحسب المنطق القبلـي أن صح التعبير – تعتبر في هكذا مجتمع قوية وفاعلة بل ومتفوقة على ما سواهـا من روابط اجتماعية أخـرى . الا أن هـذا لا يعني عـدم وجـود حالات شاذة تطلبتها ظروف اجتماعية معينة كما سنرى . ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفهم مثــلا كيف أن الفرد العراقي القـديم كان ينظر الى مسألتي الصداقة والقربى ، وأيهما كان يُفضّل؟ أو بعبارة أخرى أي المؤسستين الاجتماعيتين آنفتي الذكر كانت أكثر فاعلية في المجتمع آنئذ ؟ وبناء على ذلك ، فلابد لنا من أن نرى ماذا كان يجرى على لسان المجتمع القديم من أمثال بهذا الخصوص لاستطلاع رأيه : يقول أحد الامثال القديمة :

« الصداقة تدوم ليوم واحــد ، وصلــة القربى[٤٢] تدوم الى الابد ! »[٤٣] .

أما امثال اليوم فقد ذهبت في ذلك مناحـي شتى ونظرت الى المسألة بمنظار مختلــف سلبا وايجابا . وتسهيلا للبحث فسوف نورد الامثــال الحديثة تحت أربع مجموعات :

الاولى : وفيها مثل يقول :

« تريّـد صَديقَك دَومْ ، حاسْبَه كل يَوْمْ ! »[٤٤] .

وهنا نلاحظ أن المثل الحديث هذا بالرغم من أنه مهتم كليا بالجانب الاول مما ذهب اليه المثل القديم الا انه يضيف اليه وسيلة جديدة من أجل

---

(٤١) انظر : Stevenson, *HBQ*, 1835:6.

(٤٢) لقد ورد هذا المصطلح باللغة السومرية بالصيغة التالية : nam-ge$_4$-me-a-ash ويقابله بالاكدية *kinattutum* وهـي تعنـــي « صلة القربى » وليس « روابط العمل » (انظر : لامبرت *BWL*, p. 259 lines 9-11) انظر كذلك: E.I. Gordon, *SP*, 2.42, note 7: nam gi$_4$-me-ash = kinâtum, "kinsman"

وكذلك المصادر المذكورة هناك . راجع أيضا الكاتب نفسه في *BiOr* XVII p. 135 note 85. انظر كذلك النص الاكدي للمثـــل موضـــوع البحث فـــي : *BWL*, p. 259 line 13.

أما ما ذهب اليـه كـــل من « فايفـــر : Pfeiffer (*ANET*, p. 425 » و « دياكونوف : *VDI*, no. 68. » الى أن هـــذا المصطلح يعني «العبودية» وليس « صلة القربى » متجاهلين في ذلك ما تعنيه حقيقة الترجمة الأكدية للمصطلح السومري أمر يعوزه الدليل وهو بالتالي مرفوض.

(٤٣) انظر :

W.G. Lambart, *BWL*, p. 259, lines 9-11

(٤٤) راجع : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٤٧٥ .

أما الغلامي (المردد : الجـــزء الاول ، ص ٢٤٣) فقد أورد المثل بالصيغة التالية : « صديقك دوم ، حاسبو كل يوم » . أما التكريتي (الامثال البغدادية المقـارنة : ١ : ١١٨) فقد أورده كما يلي : « اذا تريد صاحبك دوم ، حاسبه كل يوم ».

ضمان الصداقة والتأكد من أمر ديمومتها • ومن المفيد هنا أن نشير الى ما يقوله (يوريبدس – Euripides) (حوالي ٤٨٠ – ٤٠٦ ق•م) – وهو أحد الشعراء التراجيديين الاغريق نسميه بـ « الاحساس العام » الناجم عن تجارب العظام – في هذا الصدد : « على المرء ان يقوم باختبار معين عن أجل أن يُجرِّب أصدقاءه ، ويُجرِّب أصالة قلوبهم ، وذلك لكي يعرف كل صديق ما اذا كان صادقا أم كاذبا »(٤٥) •

وهنا يمكنني التمثل بقول « جورج مكدونالد George Macdonald » : « الصديق الحقيقي هو صديق أبدي »(٥٠) • وعلى العموم ، فان ما

الثانية : وفيها مثلان : الا ان الملاحظ في أمثال هذه المجموعة انها تناقض تماما – فيما يتعلق في الموضوع – مع ما ذهب اليه المثل القديم السومري • وأول هذين المثلين – وهو بالعربية الفصحى – يقول :

« **رُبَّ أَخٍ لكَ لَم تَلِدْهُ أمُّكَ !** »(٤٦) •

نجد أنه يؤكد حقيقة مهمة تلك هي أن الصداقة لا تقل أهمية وجودة عن القرابة من جميع الوجوه • وفي ذلك يقول « چارلس كاهير Charles Cahier » : « صديق واحد جيد أحسن من مئة من الاقارب »(٤٧) ، كذلك انظر قول « چارلس لامب – Charles Lamb » « أيها الصديق الحميم ، انك اكثر من أخ ، لِمَ لم تكن قد ولدت في بيت أبي !(٤٨) •

اما المثل الثاني فيقول :

« **صَداقَةُ عُمْرٍ !** »(٤٩) •

الثالثة : وفيها ثلاثة أمثال • وهي عموما تعطي نفس الفحوى التي يؤكدها النصف الثاني من المثل السومري • أي التأكيد على أن أواصر القربى وصلة الرحم في المجتمع هي أقوى من سواها • فالمثل الاول من هذه المجموعة يقول :

« **العَظْمُ لَيْتبَرَّا من اللَّحْمِ !** »(٥١) •

أما المثل الحديث الثاني فيفيد ليس فقط أن صلات القربى في المجتمع قوية فحسب بل أن الاقرباء يتّحدون عادة فيما بينهم ضد أي شخص آخر غريب عنهم وكذلك عندما يواجَهون بأي موقف فيه خطر عليهم • وفي هذا الصدد يقول المثل الحديث :

وهنا يمكنني التمثل بقول « جورج مكدونالد George Macdonald » : « الصديق الحقيقي هو صديق أبدي »(٥٠) • وعلى العموم ، فان ما الانسانية مع واقعها تنعكس ظلاله على أعمال الشعوب وآدابها ولكن بدرجات متفاوتة • وفي هذا الصدد يحضرني أحد الامثال الانكليزية يمكن أن نلمس فيه إنعكاسات للمثل السومري وبشكل مركز ايضا •

المثل هذا يقول : « يمكنك أن تختار اصدقاءك ولكن ليس اقربائك » •

---

(٤٥) انظر : Stevenson, *HBPM* 894:3

(٤٦) انظر : احمد بگ الهاشمي : « جواهر الادب في أدبيات وانشاء لغة العرب » ، القاهرة• الطبعة الخامسة عشرة ، سنة ١٩٣٧ : ٣٣٤ : ١٢٦ •

(٤٧) انظر : Stevenson, *HBPM*, 894:5.

(٤٨) انظر : Stevenson, *HBPM*, 731:18

(٤٩) من الاقوال السائرة غير المنشورة •

(٥٠) انظر : Stevenson, *HBPM*, 731:20

(٥١) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٢٥٧ •
اما التكريتي (الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ٢٤٢) فقد أورد المثل نفسه ولكن بوضع « الاظفر » بدلا من « العظم » •

« آني وَخْوي َ على ابنْ عَمّي ، وآني وابِن عَمّيْ عَلْغَرِيب ! »(٥٢) .

أما المثل الحديث الثالث فيقول :

« الدَّم مَيصَير ماي ! »(٥٣)

والمثل الاخير هذا معروف ايضا لدى بقية الشعوب حيث يقول المثل الانكليزي في ذلك : « الدم اكثف من الماء » .

الرابعة : في هذه المجموعة أيضا ثلاثة امثال . الا انها من جهة تعكس لنا تجربة جديده للمجتمع الحديث بالقياس الى تجربة المثل السومري موضوع البحث ، وكذلك الى ما مرَّ معنا من امثال حديثة تخص الموضوع من جهة أخرى . وامثال هذه المجموعة مليئة كلماتها بالالم واليأس والتجارب القاسية المتأتية من خلال علاقات الاقارب مع بعضهم وما ينجم عن ذلك من ضغائن واحقاد وهو ما يناقض كليا المثل السومرى وبصورة أدق الشق الثاني منه . يقول المثل الحديث ـ وهو بالعربية الفصحى ـ :

عداوة الاقارب أمَسُّ من لسع العقارب ! »(٥٤) .

أما المثل الثاني فيقول :

« مَتَجِي ْ المَصايِب ، إلاّ من عند الحَبايبْ ! »(٥٥) .

والمقصود هنا بـ « الحبايب » تخصيصا « الاقارب » . أما المثل الثالث فهو لا يقل مرارة عن سوابقه حيث يقول :

« الحِمَّى تِجِي ْ من الرِّجْلَيْن ! »(٥٦) .

أما بالنسبة لفهم هذا المثل فأرى أن ما أورده بعض الباحثين في ا لامثال العراقية من تفسيرات (انظر المصادر في هامش رقم (٥٦) في ادناه) هي في نظرنا غير كافية . وعلى دلك ، فبما أن « الرِّجلين » هنا تشيران الى الاقارب والعشيرة التي يستند اليها الانسان فهي اذاً قاعدته وسنده . والتشبيه هنا جيد طالما أن « رِجلي َ » الانسان تؤديان نفس المهمة بالنسبة لحياته اليومية . أما « الحمى » المذكورة في المثل فهي تعبير عن «السوء والمكروه » . فكأنما يريد المثل بشكل عام أن يقول أنه من الغريب المدهش حقا أن ما يصيب الانسان من مكاره ومساوىء لا يأتي الا من خلال الموطن الذي يفترض فيه أن يكون امينا صحيحا وقاعدة سليمة يستند اليها الانسان في حياته اليومية .

---

(٥٢) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٢٨٣ . اما الغلامي (المردد : الجزء الاول ، ص ٩٩) فقد أورد المثل بصيغة : « آني وأخويي .... » بمقتضى اللهجة الموصلية . هذا وقد اورد « چامپيون » هذا المثل ايضا ضمن مجموعته (انظر Champion, *RP*, 330:56)

(٥٣) انظر : الغلامي : المردد : الجزء الاول ، ص ١٩٦ .

(٥٤) انظر :

C. Van Waenen, ed. tr., *Senteniae Ali ibn Abi Talib*, Arabaice et Latine, (1806), p. 92 line 305.

انظر كذلك : التكريتي : الأمثال البغدادية المقارنة : ١ : ٢٦٢ .

(٥٥) انظر : الحنفي : الأمثال البغدادية : ١ : ١٨٧٢ . اما الغلامي (المردد : الجزء الثاني ، ص ٣٨٦) فقد اورد المثل بالشكل التالي : « ما تجي المصايب الا من الحبايب » .

(٥٦) انظر : الحنفي : الأمثال البغدادية : ١ : ٦٩٣ .

انظر كذلك مقالة المحامي حسين علي الحاج حسن : « الامثال بين العامية والفصحى » المنشورة في مجلة بغداد الصادرة عن وزارة الاعلام ، العدد : ٢٧ (ايلول سنة ١٩٦٦) صفحة ٣٥ .

يتضح مما سبق أن الامثال بصورة عامة هي محصلة لتجارب الانسان مع مجتمعه ، وتختلف تبعا لذلك بشكل نسبي زمانيا ومكانيا • وعلى ذلك فالاحكام والانطباعات التي تطرحها عن هذه المسألة أو تلك هي أيضا نسبية • فأمثال العراق القديم ـ كما مرَّ معنا ـ اذ تتكر وجود صداقة دائمة نجدها في ذات الوقت تؤكد وجود صديق مخلص في وقت الشدة • ومن ذلك يقول المثل القديم :

« **عندما تهان ، دع صديقك يعمل !** »(٥٧)

أما ما يقابله من أمثالنا المعاصرة ، فتوجد ثلاثة امثال الا انها تتباين في طرحها للموضوع نظرة واسلوبا • يقول المثل الحديث الاول :

« **الصَّدِيْجْ يِنْفَعْ بْيَوم الضَّيِّج !** »(٥٨)•

أما المثل الحديث الثاني فهو وان كان يشبه سابقه من حيث الفحوى ، الاّ أنه يضيف اليه مؤكدا على مبدأ مهم وهو أن « وقت الشـــدة » هو المقياس الذي بوساطته يمكن اختبار صـــدق الصديق من عدمه وفي ذلك يقول :

« **الصديق يعرف عند الضيـــق !** »(٥٩) •

ويبدو أن التجربة الانسانية في هذا الموضوع غنية ومحصلتها متقاربة • ففي هذا الصدد يقول « جورج آشبي ـ George Ashby » : « الصديق يعرف عند الحاجة »(٦٠) • وفي الامثال الفرنسية مثل يؤكد على أنه : « عند الحاجه يرى المرء من هو الصديق ! »(٦١) أما « ريشارد گرَيفز ـ Richard Graves » فيختتم ذلك بمثل انكليـــزي يقول : « الصـديق عند الحاجـــة هو حقـا الصديق »(٦٢) •

أما المثل العراقي الحديث الثالث في هـــذه المجموعة فهو يختلف تماما عما سبقه من أمثال وبذلك فهو أيضا يختلف عما يذهب اليه المثـــل السومري • يقول هذا المثل :

« **عند الضيق لا أخ ينفع ولا صديق !** »(٦٣)•

وهنا نلاحظ كيف أن المثل هذا ذو نظـرة تشاؤمية وبذلك فهو لا يتوقع المساعدة في أوقات الشدة لا من الاقرباء ولا من الاصدقاء على حد سواء •

وما دام الحديث عن الاصدقاء فيبدو أن كلاً من المجتمع العراقي القديم وكذلك المعاصر مهتم ـ كلٌ من زاويته الخاصة وفلسفته الذاتيـة ـ بأمور العلاقات الاجتماعية وتحديد نظرته اليهـا وموقفه منها • نقـد نجدها أحيانا متفقـة أو في أحايين أخرى متناقضة • فلسلوك اليومي للاصدقاء ونوعية تعاملهم مع بعض هو من الامور التي أثارت اهتمام العراقيين القدامى • فمما جاء في أحـد أقوالهم السائرة :

---

(٥٧) لقد ورد هذ المثل في لـــوح مدون باللغتـين السومرية والأكـدية في ذات الوقت • انظر نص المثل وترجمته في :

W.G. Lambert, *BWL*, 227, ii 33-34 and p. 232;

انظر كذلك : I.M. Diakonoff, *VDI*, no. 3.

(٥٨) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٠٧٨ •

(٥٩) انظر : الغلامي : المرددِ ناص ٨٠ •

(٦٠) انظر : Stevenson, *HBPM*, 902:2

(٦١) انظر : نفس المصدر السابق •

(٦٢) انظر : Stevenson, *HBQ*, 737:15.

(٦٣) انظر : الحنفي : الأمثال البغدادية : ١ : ١٣٠١ ، ٢ : ٢٤٤٣ •

هذا ويرد المثل احيانا مبتـــدأ بكلمـــة : « بوكت .. » عوضا عن « عِند .. » •

« اذا كنت قد فعلت شرا بصديقك ، فما عساك أن تفعل بعدوك ! »(٦٤) •

ان هذا القول الذي يطفح بالتأنيب والتعنيف ان هو الا انعكاس لسلوك اجتماعي كان سائدا بين أصدقاء الامس ، أمّا أصدقاء اليوم فيمكننا تلمس مرارتهم في أحد اقوالنا السائرة المعاصرة :

« اذا صَدِيقَكْ تعاملَه هشتكِل ، عدُوَّك شراح تسَوِّي لَهْ ! »(٦٥) •

ومن الامور الاقتصادية والاجتماعية البارزة التي تطرحها أمثال الامس هي مسألة الفقر ومشاكل الانسان الاقتصادية • فهناك مثل سومري يقول :

« الفقير ليست له قوة ! »(٦٦) •

أما عراقيو اليوم فيقولون :

« الفَقِيرْ يِتعَثَّر بِذيالَه ! »(٦٧) •

أما تحليل هذين لمثلين وما يشيران اليه من معنى فيمكن النظر اليه من خلال زاويتين :

الاولى : وهو طالما أن الفقير وبسبب وضعه البائس المزري يظل باستمرار وبشكل دائم مذهولا لا يقوى على رؤية حتى ما هو أمامه •

والثانية : وهو أن الفقير قد يكون في الحقيقة مريضا من الناحية الفيزيولوجية وذلك بنتيجة فقره وضعف امكاناته المادية وبالتالي فهو غير قادر على المشي بصورة طبيعية وبذلك تراه يتعثر بحافات ملابسه الملامسة الى قدميه والتي تسبق خطاه المهزوزة وبذلك يفقد توازنه أثناء السير فيعثر ويسقط •

ومما يزيد في ضعف الفقير وتعثره هو قلقه الشديد واضطرابه المستمر الناجم عن تراكم الديون عليه • وقد عبَّر لنا عن ذلك أحد الامثال السومرية بقوله :

« الفقير قلق على ما قد استدان ! »(٦٨) •

ولو استعرضنا أمثالنا المعاصرة لوجدنا ثلاثة أمثال تتعلق بهذا الموضوع •

الاول يقول :

« مِنْ وَفَّى دَيْنه ، تْنام عَيْنَه ! »(٦٩) •

أما المثل الثاني فيقول :

« الدَّيْنْ عَماة العَيْن ! »(٧٠) •

وهنا نجد كيف أن هذين المثلين الحديثين قد عبَّرا بشكل مؤثر عن حال المدين الذي لولا تراكم ديونه عليه لنام نوماً هانئاً ، ولما اضطربت عيناه من شدة قلقه وأضحى لا يقوى على الرؤية• أما المثل الحديث الثالث ، فهو الآخر يشارك أقرانه — المثل السومري والامثال الحديثة السابقة — من حيث الجوهر الا أنه يؤكد حقيقة بالغة الاهمية تلك هي ان الديون مهما كانت صغيرة فهي تبقى

---

(٦٤) انظر :
W.G. Lambert, *BWL*, 227, ii 35-37 and p. 232.

(٦٥) وهو من الاقوال العراقية السائرة غير المنشورة •

(٦٦) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 2.18.
ومما يجدر تثبيته هنا ان النص السومري لهذ المثل يقول : nu-kalaga uku وعليه فالدقة في الترجمة — اخذا بنظر الاعتبار التركيب النحوي للجملة السومرية — تقتضي أن تكون كالآتي : « الفقير ليس بقوي » •

(٦٧) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٣٨٨ •

(٦٨) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 2.19.

(٦٩) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ٢٢٠٠ •

(٧٠) انظر : المصدر السابق : ١ : ٨٢٥ •

مثار قلق وتنغيص لحياة صاحبها المدين • وفي ذلك يقول هذا المثل :

« الدَّيْنْ هَمّ ، وَلَو دِرهَم ! »(٧١) •

أضف الى ذلك فان عدم استقرار حياة الفرد الاقتصادية وتبلبل أوضاعه المعاشية اليومية كانت قد أمعنت في تبلبل ذهنية الفقير وجعلته قلقا حتى على قوته اليومي • وقد عبَّر عن ذلك احد الامثال السومرية أبلغ تعبير بقوله :

« **الفقير قلق دائما على ما سيأكل !**»(٧٢) •

أما انسان اليوم المعدم فهو الآخر لا يقل اضطراباً وقلقاً على معيشته اليومية عن سلفه السومري • ففي امثال اليوم نلمس انعكاسات حية لواقعه الحياتي المر ومعاناته القاسية لظروفه الصعبة • ومن هذه الامثال سنورد اثنين ، احدهما — وهو من الامثال الموصلية — يقول :

« **الفَقْر لَحُوح** ! »(٧٣) •

والمثل هذا وان جاء في الواقع والجوهر مطابقا للمثل السومري ، الا انه من حيث الشكل يبدو أكثر شمولية • ومع ذلك فالمراد به هو أن الفقير بالنظر لكونه شخصا معدما فان وطأة فقره وبالتالي اضطراب ذهنه تجعل منه شخصا لحوحا من اجل الحصول على ما يسد به رمقه • أما المثل الحديث الآخر فهو يقول :

« **خُبز الشَّعِير ، عَلْفقِير حَضرَه !** »(٧٤) •

وهنا نجد ظاهرة التخصيص أكثر وضوحا وتركيزا حيث وصفت وطأة عوز الشخص الى درجة تحسره على أبسط وأرخص أنواع الخبز ممثَّلا بخبز الشعير •

ولم تقف أمثال الامس عند هذا الحد في وصف درجة الفقر والفاقة ووطأتها على حياة الفرد المعدم اليومية فحسب بل تعدتها الى أعمق من ذلك • اذ ان الانسان عندما تصل به درجة العوز الى مستوى الحرمان واليأس يبدأ سلوكه عندئذ بالانحراف مقترفا اعمال السرقة واللصوصية لتبرير واقعه المر ومعاناة الجوع والحرمان الذي يعيشه • ففي أحد الامثال السومرية جاءتنا صورة قوية معبرة لسلوكية الجائع المسحوق وفيه يقول :

« **الجائع يقتحم البناية (حتى ولو كانت مبنية) من الطابوق المفخور !** »(٧٥) •

---

(٧١) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٨٢٩ •

(٧٢) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 2.15.

(٧٣) انظر : الغلامي : المردد : ص ١٠٣ •

(٧٤) انظر : الحنفي : الأمثال البغدادية : ١ : ٧٢٠ • هذا وقد ورد هذا المثل في صيغ تختلف قليلا بعضها عن البعض الآخر • فمنها مثلا ما أورده الحنفي (المصدر السابق نفسه) بالشكل التالي :

« خُبز الاذره ، عَلْفقِير حَصره »

وكذلك بالصيغة التالية :

« خُبز الشَّعِير ، حَصْرَهْ عَلْفَقِير »

(ويلاحظ أن القافية قد لعبت دورها في تلك الصياغة) • بالنسبة للمثل بصيغته الاخيرة انظر بالاضافة الى الحنفي (المصدر اعلاه) : Meissner, B., *MSOS*, 4:2, no. 28.

(٧٥) انظر :

W.G. Lambert, *BWL*, 235, K4207, rev. II, 19-20.

هذا وقد أشار « دياكونوف I.M. Diakonoff (أنظر : *VDI*, no. 44, note 50) الى ظاهرة السرقة التي كانت شائعة في بلاد ما بين النهرين قديما وهي الحفر أسفل جدران الأبنية التي كانت مبنية من اللَّبن (وهو الطابوق غير المشوى) •

أما امثال اليوم فقد عبرت لنا بشكل آخر عن حالة الجائع البائس بقولها ـ والمثل هنا باللهجة الموصلية ـ :

« **النجوعان ياكل احجاغ ! »**(٧٦) .

وهنا نلاحظ الفرق بين المثلين القديم والحديث . ففي الاول نجد أن الفقر والحرمان والجوع دفعوا بالمرء الى ارتكاب اعمال لا يسمح بها العرف والقانون تلك هي كسر جدران الابنية واقتحامها بقصد السرقة . أما في ا لثاني فنجد أنه بسبب فقره وجوعه اضطر الى أكل ما لا يصلح للاكل (وهي الحجارة) .

ومن المفيد هنا أن نتمثل بجملة أمثال انكليزية حيث يقول « جون هيوود ـ John Heywood » في هذا الصدد : « الجوع يثقب الجدران المبنية من الحجر »(٧٧) . أما « جورج چايمان ـ George Chapman » الشاعر والكاتب الروائي الانكليزي (١٥٥٩ ؟ ـ ١٦٣٤م) فيقول « لقد قالوا بأن الجوع يفتحم الجدران المبنية من الحجارة »(٧٨) . وأخيرا عبارة شكسبير التي جرت مجرى الامثال والتي تقول : « ذلك الجوع الذي كسر الجدران المبنية من الحجارة »(٧٩) .

ولم تكن حالات القلق والاضطراب وارتكاب الاعمال التي لا يجيزها قانون أو مجتمع هي السمات الوحيدة التي تطبع حياة الفقير المعدم بل هناك ظاهرة جديرة بالملاحظة يبرزها لنا أدب الامثال القديمة ، تلك هي ظاهرة الوهم التي تتمالك حواس الانسان الفقير . فقد جاء في أحد الامثال السومرية قولهم :

« **الغبار الذي أثاره الثور ظنه طحينا بالنسبة لعينيه ! »**(٨٠) .

ويبدو أن المجتمع القديم أراد بوضعه هذا المثل تصوير حالة الجوع والحرمان عندما تحصل للانسان تفقده القدرة على التمييز بين ما هو صالح للاكل وبين ما هو غير صالح طالما أن همّه الوحيد هو تقويم أوَدَه . بالضبط كالحالة التي يعانيها الثور ـ الذي هو شخصية المثل هنا ـ والتي أدت به الى وضع غدا فيه الوهم مسيطرا على جميع حواسه لدرجة تصور عندها أن الغبار الذي أثاره هو بنفسه طحينا ليأكله .

ومن أمثالنا المعاصرة التي تصور لنا ما يشبه الحالة التي صورها توّاً المثل السومري مثل حديث ـ وهو من الامثال الموصلية ـ يقول :

« **يغشمع القمغ يحسبو اغيّف خبز ! »**(٨١) .

والحقيقة فقد أبدع هذا المثل في تصوير

---

(٧٦) انظر : الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية : الجزء الاول ، ص ١٥٤ . ان كلمة « أحجاغ » الواردة في هذا المثل . تعني بالعربية الفصحى جمع « حجارة » .

(٧٧) انظر : Stevenson, B., *HBQ*, 939 : 12.

(٧٨) انظر : نفس المصدر السابق .

(٧٩) انظر : Stevenson, B., *ibid.*, 1627 : 11.

(٨٠) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 2.90.

(٨١) انظر : الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية : الجزء الثاني ، ص ٥٠ .

وبالنظر لكون المثل باللهجة الموصلية فلابد من توضيح بعض مفرداته :

« يغشمع » بمعنى « يرى » ، « القمغ » بمعنى « القمر » ، « يحسبو » أي « يحسبه » ، « اغيّف » أي بمعنى « رغيف » .

وضع الجائع البائس المتهالك من أجل الحصول على رغيف الخبز لسد رمقه فتراه بنتيجة ذلك يركض وراء القمر في ليلة البدر متخيلا اياه رغيف خبز • ومن المفيد هنا أن نشير الى قول يشبه الى حد ما الامثال موضوعة البحث وهو من أقوال « توماس فولّر — Thomas Fuller" « الجائع يشم رائحة اللحم من مسافة بعيدة جدا »(٨٢) •

ان ظروف الحرمان والفقر والاضطراب النفسي الناجم عن تدهور حالة الفرد الاقتصادية تدفع به كما لاحظنا آنفا الى اقتراف اعمال شتى غير مقبولة • وعلى ذلك فاستمرار حالته هذه المتمثلة بقسوة الجوع والفاقة كل ذلك يحمله على التشرد والضياع • فيغدو شريدا تائها طريدا ، ليست له دارا يمتلكها أو ارضا يزرعها أو رأس مال ينتفع به • ففي أحد الامثال السومرية التي تظهر على صياغته سمة التهكم والنبز تصوير لحالة هذا الطريد المعدم وفيه يقول :

« أنت كالكلب ليس لك مكانة تنام فيه ! »(٨٣) •

أما المثل المعاصر فلا يقل هو الآخر قوة تعبير عن سلفه القديم شكلا ومضمونا وهو يقول :

« مثل عيشة الگطا ، لا فراش ولا غطا ! »(٨٤) •

هذا ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، أن المثل الحديث هذا قد يستعمل ايضا في سياق الكلام بقصد الدعاء بالشر على شخص آخر • وعندئذ ينبغي توقع صيغته أن تكون بالشكل التالي :

« رينلك/چ/كم/هم ، مثل عيشة الگطا لا فراش ولا غطا » •

وهكذا ، بعد أن استعرضنا ما يراه عراقيو الامس واليوم في أمور الفقر والجوع والحرمان والتشريد ، لابد لنا من أن نتعرف عن كثب على وجهة نظرهم في موضوع اجتماعي آخر ذلك هو « الثروة » و « الغنى » • وما هو أثر توفرهما على مكانة صاحبهما من الناحية الاجتماعية • ثم كيف تنظر الى ذات الموضوع امثالنا المعاصرة • فمن الامثال القديمة وردنا في هذا الصدد مثل مدون باللغتين السومرية والاكدية وفيما يلي نص ترجمته :

« سندك هو ليست ثروتك ، (انما) الهك ! »(٨٥) •

---

(٨٢) انظر : Stevenson, B., *HBQ*, 939:10:

(٨٣) انظر : E.I. Gordon, *SP*, 5.11

(٨٤) انظر : الحنفي : الأمثال البغدادية : ٢ : ١٩٩٨ •

« والگطا » بالعربية الفصحى هو طيور « القطا » ومفردها « قطاة »

(٨٥) انظر :

W.G. Lambert, *BWL*, 227, ii, 42-43, & p. 232.

ان ضمير التملك للمفرد المخاطب في كلمة (اله) لم يرد في الحقيقة لا في النص السومري ولا في الاكدي على الارجح • ولقد تم وضعه في الترجمة بين قوسين اجتهادا ، ذلك لانه ليس من المعقول ان يشار في مثل هذه المواضيع الى اله قوي ، أو الى اله مهمته حماية مدينة معينة• فلو كان الامر كذلك لذكر اسم الاله المقصود بصراحة في النص • وعلى ذلك ، فلابد أن يكون المقصود به هو الاله الشخصي • اذ نحن نعلم أن كل فرد في العراق القديم وكذلك كل رئيس عائلة كان يتخذ له الهاً شخصيا معينا • وقد آلت الينا قوائم مطولة بأسماء هؤلاء الآلهة • ومهمة الاله الشخصي هذا هو حماية من يعتقد به ورعايته في حلّه وترحاله ، وكذلك التوسط

وفي الوقت الذي نلاحظ كيف أن المثل القديم وضع العقيدة والايمان في موضع تقدير أعلى بكثير من منزلة الثروة والمال ، نجد أمثالنا المعاصرة قد اختلفت في أمر تقييمها للثروة • فمنها ما ائتلف ومنها ما اختلف • وأول هذه الامثال يقول :

« **أعْرِفْ ما فِي الجَيّب يآتِيك ما فِي الغَيّب ! »**(٨٦) •

وفيه تجد أن المال ليس بذي قيمة بالنسبة لقائل هذا المثل ، وبموجبه أيضا ينبغي التمتع بالثروة طالما أن هناك اله يرزق ويبعث مكاناتها • فالمثل من بعض الوجوه يتفق الى حد ما مع المثل القديم •

أضف الى ذلك ، فهناك مثلان حديثان في هذا الصدد الا انهما لا يتفقان مع المثل القديم جملة وتفصيلا • وأول هذين المثلين يقول :

« **فلوسَكْ بْعيبَك ، كُلّ النّاس تِحتيكْ ! »**(٨٧) •

ومن الطريف أن نجد من بين الامثال الاستونية(٨٨) مثلا ينطبق تماما على مثلنا الحديث هذا • وفي ذلك يقول المثل الاستوني : « الذي عنده فلوس ، عنده صديق »(٨٩) •

أما المثل الحديث الثاني فيقول :

« **الدّراهِمْ كالمَراهِم تِجبُر العَظم الكَسِيرْ والگِضَبْهَا فَرخ واوِي صار عِفرِيتَنْ چِبِيرْ ! »**(٩٠) •

ولو تفحصنا هذين المثلين الحديثين لتبينت لنا الاهمية الكبيرة التي تعلق على توفر الثروة والمكانة التي سيحتلها صاحبها في المجتمع ، حتى بلغ التطرف بالمثل الاخير الى حد اعتبر فيه أنه لو امتلكها شخص ضعيف صعلوك ليس بذي أهمية اجتماعية لاصحى بفعلها متجبرا متكبرا •

بينه وبين الالهة العظيمة لينقل اليها صلواته وتضرعه وعلى يد هذا الاله الشخصي وبوساطته يتم خلاص ذلك الشخص من كل مكروه قد يصيبه •

(٨٦) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٢١ ، انظر كذلك : التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ٢٢٠ • كما ورد نفس المثل بصيغة أخرى (انظر المصدر الاخير : ١ : ٩٥) • هذا وقد نشر « فايسباخ » هذا المثل بالالمانية كالآتي :ـ

"Verschenke das, was in der Tasche ist, er(scil. Allah) wird zu dir Kommen mit dem, was im Unsichtbaren ist!" (see, Weissbach, *LSS* IV, no. 23).

(٨٧) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٣٩٨ •

(٨٨) « استونيا ـ Estonia » بلد يقع شمال شرق أوربا ، وهو الآن يؤلف احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي •

(٨٩) انظر : S.G. Champion, *RP*, 127:472:

(٩٠) انظر : الغلامي : المردد : ص ٦٦ ، انظر كذلك الحنفي : الامثال البغدادية : الجزء الثاني ، ص ٢٤٢ (حيث أورد الحنفي هنا الشطر الاول من المثل فقط) • ولما كان هذا المثل مدونا بالفاظ عامية ليست سهلة الفهم ، فلابد اذا من توضيحها هنا : فمثلا كلمة (الگضبها) فانها تعني بالعربية الفصحى « وان مسكها » وهي بالاصل من الفعل « قبض على الشيء » الا انها قلبت ونحتت باللفظ العامي وغدت كما هي عليه اعلاه • اما كلمة « فرخ واوى » فتعني « وليد ابن آوى وصغاره » • أما كلمة «عِفرِيتَنْ» فهي كناية مشوهة لكلمة « عفريتاً » وهي في حالة النصب باعتبارها خبرا للفعل « صار » • اما « چبير » فهي في الفصحى « كبيرا » •

ولم تقف الامثال القديمة عند هذا الحد من الاستخفاف بالثروة ، بل تعدتها الى أبعد من ذلك ، وهو اعتبارها عدم التفكير بالمال أمر يستحق التقدير • وفي هذا المعنى يقول المثل السومري :

« من لا يفكر باستمرار بالاموال هو (حقا) حكيم ! »(٩١) •

وفي أحد امثالنا الحديثة نجد استهانة بالمال لا تقل عن سابقه المثل القديم ، وفي ذلك يقول :

« الفِلْوُسْ وُصَخ النُّدَنْيَا ! »(٩٢) •

وعلى أية حال ، فلنترك الآن هذه الامور جانبا ولنتجه الى موضوع اجتماعي مهم ، ذلك هو العلاقات الاجتماعية سواء على صعيد الافراد أو الجماعات • أو بعبارة أخرى كيف كان عراقيو الامس ينظرون الى ابناء جلدتهم ؟ وكذلك ما هي نظرتهم الى الآخرين سواء كانوا غرباء أو أجانب ؟ ثم ما هو صدى ذلك بالنسبة لامثال عراقيي اليوم ؟ •

قلنا سابقا ان مجتمعا كالعراق سادته ظروف البداوة وتحكمت فيه علاقات الاقطاع منذ القديم مما أدى الى ترسيخ مفاهيم وقيم قبلية وبدوية إنعكست بالتالي على أعمالهم وأقوالهم ومن ذلك بالتأكيد حقل الامثال • فأبناء العائلة وابناء القبيلة الواحدة وكذلك ابناء المدينة الواحدة كان كل منهم ولا يزال يؤلف قطاعا مكملا للآخر تربطهم روابط اجتماعية واحدة وتقع عليهم التزامات واحدة وما عداهم فهو غريب واجنبي • أي بعبارة أخرى ، حتى الشخص الذي يأتي من مدينةما في بلاد سومر الى مدينة أخرى في نفس البلاد مثلا فهو يعتبر « غريب » أو باصطلاحهم : "lu_2-bar-ra" « أي الشخص الخارجي » • أما اذا كان قد جاء من بلد أجنبي كأن يكون من دولة مجاورة فعندئذ يطلق عليه باصطلاحهم اسم : "lu_2-kur-ra" « أي الشخص الأجنبي » وهي تعني في ذات الوقت « العدو » أيضا •

وفي أحد الامثال السومرية نجد تأكيدا شديدا وتصنيفا وتفريقا محدداً لما أسلفنا وفي ذلك يقول :

« اللحم لحم
الدم دم
الغريب غريب
الاجنبي حقا اجنبي ! »(٩٣) •

أما أمثالنا المعاصرة فاننا نجد فيها مثلين • احدهما يقول :

« الغَرِيب ذِيب وعَضته مَتطِيب ! »(٩٤)

أما الثاني فيقول :

« الغريب غريب ! »(٩٥) •

ان هذين المثلين وكذلك المثل السومري يعرضان لنا في الواقع وبشكل صارخ تحذيرا ضد الاشخاص الغرباء وضرورة التزام جانب الشك والحيطة لدى التعامل معهم •

هذا ومما يجب تثبيته هنا بأن كلمة « غريب » تطلق مبدئيا ـ كما أسلفنا ـ على الشخص الذي

---

(٩١) انظر : E.I. Gordon, *JAOS* 77, 4:46.

(٩٢) وهو من الأمثال غير المنشورة • وكلمة « وصخ » هنا في العامية يقابلها في العربية الفصحى كلمة « وسخ » •

(٩٣) انظر :
W.G. Lambert, *BWL*, 271, 16-18.

(٩٤) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٣٥٣ • ومن الامثال البدوية جاء هذا المثل بصيغة هي أكثر قسوة من الصيغة اعلاه وقد أورده « چامپيون » كالآتي : « الغريب للذيب ! »•
انظر : S.G. Champion, *RP*, 341:529.

(٩٥) وهو من الاقوال السائرة غير المنشورة•

لا ينتسب الى تلك المدينة التي حل فيها رغم انه من أبناء نفس القطر • الا أنه احيانا ـ ولا سيما في حقل الامثال الحديثة ـ يتعدى ذلك ليشمل ايضا لفظ « الاجنبي » وذلك عندما يتطلب الموقف مثلا استخدام هذا المثل أو ذاك • باعتبار أن الاصل واحد لكلا اللفظين اذ هما ليسا من أبناء تلك المدينة التي حلا فيها •

أما فيما يتعلق بالمؤسسات السياسية في العراق القديم ، فلم تغفل امثال الامس عن التنويه بها • وقد جائتنا في ذلك بعض الأمثال المهمة المعبرة نجملها فيما يلي :

فقد ورد في أحدها قولهم :

« في مدينة بلا كلاب يصبح الذئب مشرفا ! »(٩٦) •

وهو في الحقيقة تعبير رائع ووصف لاذع لحالة الفوضى وانعدام القانون وضياع النظام • ولا سيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار المثل الحديث المعاصر الذي يقول :

« جَرْيَه بلا اجلاب تِسْرَح بيّها لِذيابْ ! »(٩٧) •

فالقرية عندما تفتقد الى كلاب الحراسة تصبح عندئذ عرضة للذئاب تسرح فيها وتمرح كيفما تشاء • وكذا الحال بالنسبة للبلد الذي تتفشى فيه الفوضى ويهتز فيه حبل الامن ويندثر بين ارجائه القانون فلا يبق من رادع يردع أو حاكم يصدع • وعندئذ يصفو الجو لذوي النفوس الضعيفة من التحكم والسيطرة •

أما المثل الحديث الثاني ، فهو وان كان مشابها لسابقه الا انه يضيف اليه نصا جديدا • يقول هذا المثل ـ وهو بالطبع باللهجة الموصلية :

« غِشَعْ ضَيّعه بلا كَلِيب قام يمشي بلا عَصايِي ! »(٩٨) •

والاشارة هنا الى الشخص الانتهازي الذي يستغل الفرصة التي يصبح فيها الاشراف ضعيفا والنظام مهتزا في مكان ما ، كمن يدخل ضيعة ويجدها بدون كلاب تحرسها فيدأ يصول ويجول فيها بدون حاجة الى حماية (ممثّلة بالعصا) •

الواقع ، أن سكان العراق القديم ، وأخص منهم بالذكر السومريين ، فهم أقدم شعب أسس دويلات حاكمه في جنوب القطر انتبه الى اهمية تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وضرورة وجود قيادة لمجموع الشعب كي تنظم لها حياتها وتحافظ على الامن والنظام • وقد انعكس ذلك وبشكل واضح على أمثالهم ، حيث عبر عنه احدها أبلغ تعبير بقوله :

« شعب بلا ملك ، ماشية بلا راع ! »(٩٩) •

---

(٩٦) انظر :
E.I.. Gordon, in Struve *Festschrift*, *loc.*, *cit.*, p. 230.

(٩٧) انظر : الغلامي : المردد : ص ٥٠ •

(٩٨) انظر : الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية : الجزء الثاني ، ص ٢٩٣ • ولما كان هذا المثل باللهجة الموصلية فلا بد هنا من توضيح بعض معاني مفرداته : « غشع » بمعنى « رأى »، « كليب » وهي « كلاب » مفردها « كلب » وتلفظ باللهجة الموصلية بالأمالة ، وهي ظاهرة واضحة على لهجة ابناء الموصل وتكريت بالدرجة الاولى • أما كلمة « عصايي » فهي « العصا » الا انهم يؤنثونها تجاوزا أي « عصاية » ثم يخضعون الاخيرة لصيغة الامالة وبذلك يلفظونها بالشكل الوارد •

(٩٩) انظر
W.G. Lambert, *BWL*, 229, col. IV, 14-15, & p. 232.

أما امثالنا الحديثة في هذا الصدد ، فهي وان كانت ليست بقوة المثل السومري وتكامله معنى واسلوبا ، الا انه من المفيد أن نذكرها من أجل المقارنة . يقول أحد الامثال الموصلية :

« غِشمَع مـــال بلا صـاحِب وغَنَـــم بلا راعِي ! »(١٠٠) .

أضف الى ذلك ، فهناك مثل حـديث آخر احتفظ بالجزء الثاني فقط من المثل السومري وقد جاء فيه :

« غنَم مِن غَيّر راعِي ! »(١٠١) .

ـ يتبع في العدد القادم ـ

(١٠٠) الدباغ : معجم الامثـال العاميـــة الموصلية : الجزء الثاني ، ص ٢٩٤ . انظـر كذلك المصدر نفسه ، الجزء الاول منه ، ص ٢٦ بالنسبة للشطر الاول من المثل) .
أما بالنسبة لمعـــاني المفردات فانظر رجـاء هامش رقم (٩٨) .

(١٠١) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٣٦٥ ، انظر كذلك ، الغلامي : المردد ، ص ٩٩ .

مصادر البحث

فيما يلي ثبتا بأهم المصادر التي أشير اليها خلال هذا البحث مرتبة بحسب المختصرات التي أعطيت لها :

المراجع العربية :

الحنفي ، الشيخ جلال : «الأمثال البغدادية»، مطبعة أسعد ـ بغداد ، جزءآن ، الاول طبع سنة ١٩٦٢ والثاني في سنة ١٩٦٤ .

التكريتي ، عبدالرحمن : « الامثال البغدادية المقارنة » ، الجزء الاول ـ مطبعة العاني ـ بغداد سنة ١٩٦٦ .

الغلامي ، محمد رؤوف : المردد من الامثال العامية الموصلية » ، بغداد سنة ١٩٦٤ .

الدباغ ، عبدالخالق الهذلي : « معجـــم الامثال العامية الموصلية » ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة الهدف في الموصل سنة ١٩٥٦ .

FOREIGN SOURCES:

ANET: *Pritchard, J.B.* (ed.), *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*. Princeton University Press, Princeton, Second Edition, 1955.

BiOr: E. I. Gordon, "A New Look at the Wisdom of Sumer and Akkad", *Bibliotheca Orientalis*. Vol. XVII no. 3/4 (May-July 1960), Leiden, pp. 122-152.

BWL: W.G. Lambert, *Babylonian Wisdom Literature*, The Clarendon Press, Oxford, 1960.

HBPM: B. Stevenson, (ed.), *The Home Book of Proverbs, Maxims and Familiar Phrases*. The Macmillan Company, New York, First Edition, 1948.

HBQ: *idem.*, *The Home Book of Quotations*. Dodd, Mead & Company. New York, Eight Edition, 1956.

JAOS 15: J.R. Jewett, "Arabic Proverbial Phrases", *Journal of the American Oriental Society*, Vol. 15, New Haven (1893), pp. 28-120.

JAOS 77: E.I. Gordon, "Sumerian Proverbs: '*Collection Four*', *Journal of the American Oriental Society* (*JAOS*). Vol. 77, no. 2, 1957.

LSS IV: F.H. Weissbach, "Beitrage zur Kunde des Irak-arabischen", *Leipziger Semitische Studien*, vol. IV, pp. 166-196, Leipzig (1908-1930).

MSOS 4:2: B. Meissner, "Neuarabische Sprichtwörter und Räthsal aus dem Iraq,"*Mittheilungen des Seminars für Orientalische Sprachen*, 4:2 (1901), pp. 137-174.

RP: S.G. Champion, *Racial Proverbs*, Barnes & Noble Inc., New York, Reprinted 1966.

SP: E. I. Gordon, *Sumerian Proverbs: Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia.* The University Museum Monagraphs, Philadelphia, 1959.

SP 5: E.I. Gordon, "Sumerian Animal Proverbs and Fables: 'Collection Five'," *Journal of Cuneiform Studies* (*JCS*), Vol. XII, nos. 1 & 2, 1958.

SSA: J.J. Van Dijk, *La sagesse sumérо-accadienne: Recherches sur les genres littéraires des textes sapientiaux avec choix de textes.* E.J. Brill, Leiden 1953.

UET: (Series), *Ur Excavations Texts*, London.

VDI: I.M. Diakonoff, 'Social Relationships in Sumerian and Babylonian Folklore (120 Proverbs and Sayings)", *Vestnik Drevnii Istorii* "Journal of Ancient History", Academy of Sciences of the USSR, Moscow (1966). (Separate Aeprint, No. 1) pp. 9-21.